معجزة شقّ صدر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

مناقشة لما أورده جعفر مرتضى العاملي في كتابه (الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم)

Miracle of cracking the chest of the Prophet peace and blessings be upon him
A discussion of what Jaafar Murtada al-Amili mentioned in his book (al-Sahih from the biography of the greatest Prophet)

الطالب براهيم زناقي[1]
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
minhajsounnq@gmail.com
د.سامي رياض بن شعلال
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
samyriadh52@gmail.com

تاريخ الوصول 05 /03/ 2021 القبول 29/05/2021 النشر علي الخط 15/09/2021
Received 05 /03/2021 Accepted 29/05/2021 Published online 15/09/2021

ملخص:

يتعلق البحث بإحدى المعجزات التي وقعت للنبيّ صّلى الله عليه وسلّم في صغره، وتكررت بعد ذلك، وهي شقّ صدره صلى الله عليه وسلم، وإثبات وقوعها.

هذه المعجزة التي توارد على إنكارها عديد من الباحثين والكاتبين، من مختلف التوجهات الفكرية، ومنهم السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه: (الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله)، فجاء هذا البحث ليناقش الأدلة التي طرحها العاملي في إنكاره لهذه الواقعة، وبيان قيمتها بطريقة علمية.

الكلمات المفتاحية: شق صدر، جعفر مرتضى العاملي، معجزة، سيرة النّبيّ الأعظم.

Abstract

The research relates to one of the miracles that occurred to the Prophet, may God's prayers and peace be upon him, when he was young, and was repeated after that, namely, cutting his chest, may God's prayers and peace be upon him, and establishing their occurrence.

This miracle was denied by many researchers and writers, from various intellectual orientations, including Sayyid Jaafar Murtada al-Amili in his book (al-Sahih from the biography of the greatest Prophet).

This research came to discuss the evidence presented by al-Amili in his denial of this incident and to explain its value in a scientific way..

Keywords

Cracking the chest, Jaafar Mortada Al-Amili, miracle, Biography of the greatest Prophet.

1 المؤلف المرسل: براهيم زناقي الإيميل: drsayedmazen2019@gmail.com

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد خاتم النبيّين وعلى آله الطّاهرين وصحبه الغرّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين، أمّا بعد:

جرت سنّة الله عزّ وجلّ أن يؤيّد أنبيائه ورسله بالمعجزات الباهرات، والآيات الظّاهرات، دلالة على صدقهم، وإشعارا بأنّهم مبعوثون من عند ربّهم.

ونبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم لم يكن بدعا من الرّسل؛ فإنّ الله عزوجلّ قد أكرمه وأيّده بجملة من المعجزات والآيات، منذ طفولته وقبل بعثته، إيذانا بأنّه سيأتي بأمر عظيم.

ومن جملة هذه المعجزات، واقعة شقّ الصّدر المشهورة في السّيرة النّبويّة، المنقولة بالأسانيد الثّابتة المعتبرة.

إلا أن النّاظر في كتابات كثير من الكتّاب المعاصرين، خاصة المتأثرين بالمدرسة العقلية، على مختلف مشاربهم، وانتماءاتهم العقديّة، يجد إنكارا لهذه الواقعة بحجج مختلفة.

ومن بين هؤلاء الكتّاب: السيد جعفر مرتضى العاملي[1] صاحب كتاب (الصحيح من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله)، فقد عقد بابا في كتابه للكلام عن الواقعة، وساق عدة أدلة في إنكارها.

إشكالية البحث:

مضمون مشكلة هذا البحث في السؤال الآتي: هل ما ذكره السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (الصحيح من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله) من الأدلة في حادثة شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم كاف لإنكارها وردّها؟ وهل ما ذكره من الاعتراضات والإيرادات قائم على أسس علمية؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية موضوع هذا البحث وأسباب اختياره من خلال النقاط الآتية:

1- الدفاع عن كتب السّنّة عموما، خاصة وأن حادثة شقّ الصّدر رواها مسلم في صحيحه.

2- بيان قيمة أدلة المنكرين لمعجزة شقّ الصدر، والرّدّ على اعتراضاتهم في ذلك.

3- سدّ باب الطاعنين في معجزات النبيّ صلى الله عليه وسلم، الذي يعتبر أحد الأدلة العقلية على صدق نبوته عليه السلام.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، متبعا في ذلك الأمور التالية:

1- أوردت الاعتراضات التي ساقها جعفر العاملي في كتابه، والتي استدل بها على مدّعاه.

2- رددت على هذه الأوجه بالمعقول والمنقول.

3- الإجابة عن إشكالات العاملي اعتمادا على كتب الشيعة ومصادرهم ما أمكن، ليكون أبلغ في الحجة والإلزام.

---

[1] السيد جعفر مرتضى الحسيني العاملي ابن السيد مصطفى مرتضى، رجل دين شيعي، ولد في 1364/2/25 هـ، الموافق لـ 1945/1/6م، حاز كتابه المعروف بـ "الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)" على جائزة الكتاب الأول في إيران عام 1992م، أسس مدرسة دينية في لبنان "باسم حوزة الإمام علي بن أبي طالب(ع)" وأنشأ المركز الإسلامي للدراسات، توفي يوم السبت 26 أكتوبر 2019. ينظر: الموقع الرسمي للعاملي http://www.al-ameli.com/edara/subject.php?id=5

أهداف البحث:

تتجلى الأهداف المرجو تحقيقها من هذا البحث فيما يلي:

1- بيان ضعف الأسس التي يعتمد عليها المنكرون للمعجزات بصفة عامة أو جزئية.

2- تفنيد الشبهات المثارة حول معجزة شقّ صدر النّبيّ صلى الله عليه وسلم.

3- بيان تناقض جعفر مرتضى العاملي في تعامله مع قضايا الغيب والإعجاز.

الدراسات السابقة:

لم أجد – في حدود اطلاعي- من أفرد تأليفا أو بحثا في الرد على ما أثاره جعفر العاملي في مسألة شقّ الصّدر، لكن توجد في الجملة عدّة دراسات وكتابات في هذا الباب، لتفنيد الشبهات المثارة، منها:

1- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي لأحمد أحمد غلوش، عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق لجامعة الأزهر، وكتابه هذا ضمن سلسلته (تاريخ الدعوة إلى الله تعالى).

وقد تعرّض في كتابه أثناء الكلام على هذه المعجزة، لردّ حجج المنكرين أو المؤولين لها، ولكنه لم يتوسع كثيرا.

2- رد شبهات حول عصمة النبيّ صلى الله عليه وسلم لعماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، والكتاب في أصله رسالة دكتوراه، بكلية أصول الدين بالقاهرة، جامعة الأزهر، إشراف الأستاذ الدكتور: عبد المهدي عبد القادر.

وقد أجاب فيه بالتفصيل عن شبهات المستشرقين، وأتباعهم من المنكرين للشق الحسي لصدر رسول الله عليه وسلم.

خطة البحث:

انتظمت خطة هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة، فأمّا المقدمة فقد اشتملت على الافتتاحية وأهمية البحث ومشكلته، وخطة البحث ومنهجه. وأمّا المبحث الأول فتحدثت فيه عن حادثة شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم في مصادر الفريقين، كما ذكرت في هذا المبحث معجزة شق الصّدر من كتب أهل السنة، ومن مصادر الشيعة الاثني عشرية أيضا. وأمّا المبحث الثاني فخصصته لمناقشة العاملي فيما أورده في كتابه إنكارا لوقوع هذه المعجزة. ثم خاتمت البحث بذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وذيلته بفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول: حادثة شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم في مصادر الفريقين

تعتبر معجزة شقّ صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الحوادث المشهورة، التي نقلتها مصادر الحديث عند أهل السّنّة، ولا يكاد يخلو كتاب في السّيرة النّبويّة من ذكرها، بل أشارت إلى هذه الواقعة بعض المصادر الحديثيّة عند علماء الشيعة الاثني عشرية أيضا، وإن أعرض عنها أكثرهم، وسأورد مصادر الفريقين في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: حادثة شقّ صدر النّبيّ صلى الله عليه وسلم في مصادر أهل السنة

حادثة شقّ صدر النّبيّ صلى الله عليه وسلم، نقلتها كتب أهل السنة ومصادرهم الحديثية المعتبرة، كصحيح مسلم وغيره[1]:

[1] مسند أحمد (455/21)، رقم الحديث: 14069؛ صحيح ابن حبان (242/14)، رقم الحديث: 6334.

الفرع الأول: شق الصدر في زمن طفولته صلّى الله عليه وسلّم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاه جبريل عليه السلام وهو يلعب مع الغلمانِ، فأخذَه فصرَعه، فشَقَّ عن قلبه، فاستخرج القلبَ، فاستخرج منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْت من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعَون إلى أمه – يعني: ظِئرَه – فقالوا: إن محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو مُنتَقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره[1].

هذه المرة الأولى التي حصل فيها شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم، وقد عُدّت هذه الواقعة من إرهاصات النبوة[2]، حيث وقع له ذلك في صغره وهو مسترضع في بني سعد عند حليمةَ السعديةِ، وقد انتزع فيها حظُّ الشيطان، فشقَّ الملك صدره، واستخرج قلبه، ليستخرج منه علقةً –قطعة دم–، وهذه العلقة المنتزعة عنه هي القابلة للوسواس والمحركة للشهوات، فأزيل ذلك عنه صلّى الله عليه وسلّم.

وأما ما بعدها فكان تهييئاً لقلبه لأن يتلقى ما سيرد عليه من واجبات وتكاليف. فالأولى من باب التخلية وما تبعها من باب التقوية والتحلية.

الفرع الثاني: شق الصدر قبيل البعثة

وردت روايات تفيد وقوع شق الصدر قبيل البعثة، لكنها عند التحقيق ضعيفة لا يعوّل عليها[3]، وتفصيل ذلك كما يأتي:

أخرج الطيالسي من طريق حماد بن سلمة قَالَ: أخبرني أبو عمران الْجَوْنِيُّ، عن رجل، عن عائشة، أنّ رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم اعتكف هو وخديجة شهرا، فوافق ذلك رمضان، فخرج رسول اللّه صلى الله عليه وسلّم وسمع: السّلام عليكم قالت: فظننت أنّه فجأه الجنّ، فقال: «أبشر، فإنّ السّلام خير» ثم رأى يوما آخر جبريل عليه السّلام على الشّمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب، فهبت منه، قالت: فانطلق يريد أهله، فَإِذَا هو بجبريل عليه السّلام بينه وبين الباب قال: «فكلمني حتى أنست به، ثم وعدني موعدا» قال: «فجئت لموعده، واحتبس عليَّ جبريل، فلمّا أراد أن يرجع إذا هو به وبميكائيل عليه السّلام، فهبط جبريل إلى الأرض وبقي ميكائيل بين السّماء والأرض» قال:" فأخذني جبريل فصلقني لحلاوة القفا، وشقّ عن بطني، فأخرج منه ما شاء اللَّه ثمّ غسله في طست من ذهب ثمّ أعاده فيه"[4].

والسند ضعيف لإبهام الراوي عن عائشة رضي الله عنها.

وأخرجه أبو نعيم الأصفهاني من طريق أبي بكر بن خلّاد، ثنا الحارث بن أبي أسامة، ثنا داود بن الْمُحَبَّرِ قال: ثنا حماد، عن أبي عمران الجوني، عن يزيد بن بَابَنُوسَ، عن عائشة رضي اللّه عنها به[5].

---

[1] صحيح مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات (1/ 147)، رقم الحديث: 261.

[2] ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث: علي محمد الصلابي (ص 52)؛ السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية: محمد بن مصطفى الدبيسي (ص180).

[3] ينظر: السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية: أكرم العمري، أكرم (103/1).

[4] مسند أبي داود الطيالسي (125/3).

[5] دلائل النبوة: أبو نعيم الأصبهاني (ص215).

والسند ضعيف جدا لأجل داود بن المحبّر، فهو متروك، واتهمه غير واحد بالكذب، قال فيه أبو حاتم: "غير ثقة، ذاهب الحديث، منكر الحديث"[1].

وقال البخاري: "منكر الحديث"[2]، وقال أيضاً: "منكر الحديث، شبه لا شيء، كان لا يدري ما الحديث"[3].

فلا يثبت في الباب شيء، لضعف أسانيد الأحايث الواردة في المقام.

الفرع الثالث: شق الصدر عند الإسراء والمعراج

أخرج البخاري[4] من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنهما: أن نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم حدَّثهم عن ليلة أسري به، قال: «**بينما أنا في الحَطِيم – وربما قال: في الحِجر– مضطجعًا، إذ أتاني آتٍ فشقَّ ما بين هذه إلى هذه... فاستخرج قلبي، ثم أُتِيت بطَسْت من ذهب مملوءةٍ إيمانًا، فغسل قلبي، ثم حُشي ثم أُعيد...**» الحديث.

قال الحافظ ابن رجب (ت795هـ): "ومن تأمَّل ألفاظ الأحاديث الواردة في شرح صدره، وملئه إيمانًا وحكمة أو سكينة، أو رأفة ورحمة؛ ظهر له من ذلك أنه وضع في قلبه جسم محسوس مشاهَد، نشأ عنه ما كان في قلبه من هذه المعاني، والله سبحانه قادِر على أن يخلقَ من المعاني أجسامًا محسوسَة مشاهدة، كما يجعل الموت في صورة كبش أملح يذبح"[5].

وقد تكلَّم العلماء عن بعض الحِكم في تكرار شقِّ صدر النّبي صلّى الله عليه وسلّم؛ ومنها: أن شقَّ صدره صلّى الله عليه وسلّم في زمن الطفولَة كان لإخراج حظِّ الشيطان، ثم وقع شقُّ الصدر بعد ذلك عند إرادة العروج إلى السماء؛ تأهّبا واستعدادا لمناجاة الله تعالى.

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): "قد استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء وقال: إنما كان ذلك وهو صغير في بني سعد. ولا إنكار في ذلك فقد تواردت الرواية به، وثبت شق الصدر أيضًا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم في "الدلائل" ولكل حكمة: فالأول أخرج الملك علقة منه وقال: "هذا حظ الشيطان منك"، كما عند مسلم، فنشأ في أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان. ثم وقع عند البعثة زيادة في إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب أقوى. ثم وقع شق الصدر عن إرادة العروج ليتأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة في ذلك وتكرير الغسل ثلاث مرات المبالغة في الإسباغ، كما تقرر في شرعه صلى الله عليه وسلم"[6].

وتقدم قبل قليل الكلام عن أحاديث شق الصدر قبيل البعثة، التي أخرجها أبو نعيم وغيره، واتّضح أنها لا تثبت، لضعف أسانيدها.

المطلب الثاني: المنكرون لشق صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم

المنكرون لشقّ الصّدر فريقان:

---

[1] الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي (424/3).

[2] التاريخ الكبير: البخاري (244/3).

[3] الضعفاء الصغير: البخاري (ص59).

[4] صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، (5/ 52)، رقم الحديث: 3887.

[5] فتح الباري: ابن رجب الحنبلي (313/2).

[6] فتح الباري: ابن حجر (7 /204). وينظر أيضا: عمدة القاري شرح صحيح البخاري: بدر الدين العيني (17/ 23)؛ شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (8/ 49).

الفريق الأول: من ينكر واقعة شقّ الصدر إنكارا تامّا، إما بتضعيف الروايات الواردة في المقام سندا، وإما بادّعاء مخالفتها للعلم والواقع التجريبي.

ومن جملة هؤلاء، الدكتور محمد حسين هيكل (ت1376هـ)، حيث يقول: "لا يطمئن المستشرقون، ولا يطمئن جماعة من المسلمين كذلك إلى قصة الملكين هذه، ويرونها ضعيفة السند، فالذي رأى الرجلين في رواية كُتَّاب السيرة إنما هو طفل لا يزيد على سنتين إلا قليلاً، وكذلك كانت سنّ محمد يومئذ"[1].

وهذا غير مسلّم لوجوه:

1/ فالروايات كما تقدّم – خاصة شقّ الصّدر في الصّغر – صحيحة السّند، مروية في مصادر متعددة، بحيث لا يسع إنكارها أو ردّها.

2/ إنكار المستشرقين ومن وافقهم لا يلتفت له، فالمعوّل عليه في الباب هم أهل الفنّ والصّنعة، أعني أهل الحديث، أما مستند هؤلاء المستشرقين فلا يقوم على أسس علميّة كما هو معروف عنهم.

3/ أما دعوى مخالفتها للعلم والواقع التجريبي، فغير صحيح أيضا؛ "فإن العلم الحديث يؤيد ذلك ويصدقه، فقد اخترعت آلات للجراحة تجعل الجرح يلتئم بدون سيلان دم من جسم المريض، كما وجد بعض الأودية تمنع سيلان الدم بمجرد بثها على الجرح، والطبيب لا يدعى أنه يفعل الأشياء الخارقة، وإنما يعتقد أن ذلك قد تم بعلم مدروس له قواعده وأصوله. كيف وقد تم زرع بعض الأجسام المنقولة من ميت أو صحيح إلى آخر مريض، ويزاول حياته الطبيعية بعد أن برأ وعافاه الله وزال عنه المرض؟ وإذا جاز ذلك في حق البشر وهو من جملة ما خلق الله عز وجل، أيستبعد ذلك على الخالق جل جلاله؟"[2].

الفريق الثاني: المؤوّلون لهذه الواقعة، بحمل شقّ الصّدر على التطهير المعنوي لا الحسّي.

ولاشكّ أنّ هذا التأويل باطل، لمخالفته صريح النّصوص المتقدّمة، الدّالة على أنّ الشقّ كان حقيقيا لا مجازيّا، وإلا فما وجه الإعجاز فيه؟

قال ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): "وجميع ما ورد من شقّ الصّدر واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له، دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك"[3].

المطلب الثالث: حادثة شق صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم في مصادر الشيعة الإمامية الاثني عشرية

نبيّن في هذا المطلب أن هذه الحادثة لم تتفرّد بنقلها مصادر أهل السنة، بل رويت في مصنفات الشيعة الإمامية، وبيان ذلك فيما يلي:

الفرع الأول:

ذهب بعض علماء الاثني عشرية، إلى أن هذه الرواية من مختصّات أهل السّنة، ولم يروها الشّيعة في مصنّفاتهم بأسانيد معتبرة عندهم.

---

[1] حياة محمد: محمد حسين هيكل (ص128).

[2] رد شبهات حول عصمة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني (ص210).

[3] فتح الباري: ابن حجر (205/7).

يقول المجلسي (ت1111هـ)[1]:" اعلم أن شقّ بطنه صلّى الله عليه وسلّم في صغره في روايات العامة كثيرة مستفيضة كما عرفت، وأما رواياتنا وإن لم يرد فيها بأسانيد معتبرة لم يرد نفيها أيضا"[2].

وهذه الدّعوى غير صحيحة ومخالفة لواقع كتب الاثني عشرية، فالحديث مرويّ في كتبهم أيضا، وفي هذا الصدد قال محمد شعاع الفاخر:" لعلّه يشير إلى حادثة شقّ الصّدر، ولكنّها لم ينفرد بها العامّة، ولست أدري لعلّ الشّيعة أخذوها منهم، ولم تكن في عهد الخواجة"[3].

ومراده بالعامّة: أهل السّنّة[4]، فأشار إلى أنّهم لم ينفردوا برواية هذه الواقعة، بل وافقهم عليها الشّيعة.

ومن ذلك ما رواه الشّيخ الصّدوق (ت381هـ)[5]، قال: "حدّثنا أبو الدُّنيا معمر المغربيُّ، قال: سمعت عليَّ بن أبي طالب عليه السلام، يقول: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كنت أرعى الغنم، فإذا أنا بذئب على قارعة الطريق فقلت له. ما تصنع ههنا؟ فقال لي: وأنت ما تصنع ههنا؟ قلت: أرعى الغنم، قال لي مرّ. أو قال: ذا الطريق. قال: فسقت الغنم، فلمّا توسّط الذِّئب الغنم، إذا أنا بالذِّئب قد شدَّ على شاة فقتلها، قال: فجئت حتّى أخذت بقفاه فذبحته وجعلته على يدي وجعلت أسوق الغنم، فما سرت غير بعيد إذا أنا بثلاثة أملاك: جبرئيل، وميكائيل، وملك الموت عليهم السلام، فلمّا رأوني قالوا: هذا محمّد بارك الله فيه، فاحتملوني، وأضجعوني، وشقّوا جوفي بسكّين كان معهم، وأخرجوا قلبي من موضعه، وغسلوا جوفي بماء بارد كان معهم في قارورة حتّى نقي من الدَّم، ثمّ ردُّوا قلبي إلى موضعه، وأمرُّوا أيديهم إلى جوفي، فالتحم الشقُّ بإذن الله عزَّ وجلَّ، فما أحسست بسكّين ولا وجع. قال: وخرجت أعدوا إلى أُمّي. يعني حليمة داية النّبيّ صلّى الله عليه وآله. فقالت لي: أين الغنم؟ فخبّرتها بالخبر، فقالت: سوف يكون لك في الجنّة منزلة عظيمة"[6].

قد يظنّ لأوّل وهلة أنّ هناك انقطاعا في السّند، بين معمّر المغربي وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وليس الأمر كذلك، فعلماء الشّيعة الاثني عشرية ذكروا في كتب التّراجم والرّجال أن معمّرا المغربيّ هذا، ممن طال عمره، وأدرك زمن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، بل وشارك معه في صفّين.

قال محمد هادي الأميني (ت1421هـ)[7]:" عثمان (الأشج) ابن الخطاب بن عبد اللّه بن العوام البلوي المغربي المعروف بابن أبي الدنيا المتوفى 327 هـ. محدّث، عاش دهرا طويلا، وقدم بغداد بعد سنة ثلاثمائة بعدة سنين. وروى عنه العلماء من أهل النقل، وهو

---

[1] محمد باقر المجلسي من علماء الشيعة الإماميّة الإثني عشريّة. ولد سنة 1037 هـ بأصفهان، وكان والده المولى محمّد تقي المجلسيّ من أكابر علماء الشّيعة في زمانه، له مؤلفات عديدة في مختلف العلوم، أشهرها: بحار الأنوار، توفي سنة 1111هـ. ينظر: الكنى والألقاب، عباس القمي (3/ 147).

[2] بحار الأنوار: المجلسي (140/16).

[3] مجالس المؤمنين: نور الله التستري (192/2).

[4] أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (229/11).

[5] أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (حدود 306 هـ - 381 هـ) عالم وفقيه ومحدث عند الشيعة في القرن الرابع الهجري، مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه أحد الكتب الأربعة عند الشيعة الاثنا عشرية ويعتبر من أهم المصادر الحديثية عندهم، قال عنه القمي:" شيخ الحفظة، ووجه الطائفة المستحفظة، رئيس المحدثين، والصدوق فيما يرويه عن الائمة الطاهرين". الكنى والألقاب، عباس القمي (1/ 221).

[6] كمال الدين وتمام النعمة: الشيخ الصدوق (ص542).

[7] محمد هادي بن عبد الحسين بن أحمد الأميني (1353هـ – 1422هـ) فقيه شيعي، أديب، محقق، كاتب وشاعر. ولد في النجف–العراق، ونشأ بها، وانتقل إلى طهران سنة 1390هـ، له مؤلفات ومصنفات عديدة باللغتين بالعربية والفارسية، منها: أصحاب أمير المؤمنين والرواة عنه، أعلام نهج البلاغة، الشريف الرضي، وغيرها. ينظر: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002: كامل سليمان الجبوري (153/6).

من المغرب من بلدة تسمى (رندة)، ولد في عهد أبي بكر، وتوجه مع أبيه إلى الكوفة للقاء أمير المؤمنين عليه السلام، فاجتمع به وهو عليه السلام خارج إلى صفّين. وأخذ عنه أحاديث"[1].

وقد نص على وثاقته، وحسن حاله، جملة من علماء الرجال:

قال عبد الله المامقاني (ت1351هـ)[2]: "والمستفاد من مجموع ما ذكر أن الرجل إمامي ممدوح فيعدّ حديثه من الحسن، بل مقتضى كونه شيخ الإجازة كون حديثه من الصحيح لما نقحناه في محله من عدم حاجة مشايخ الإجازة إلى التنصيص على التوثيق"[3].

ويقول علي النمازي الشاهرودي (ت1402هـ)[4]: "عليّ بن عثمان بن الخطّاب أبو الدّنيا المعمّر البلويّ: روى الصدوق في الإكمال الإكمال باب المعمّرين جملة من أحواله ورواياته، وفيها دلالات على حسنه وكماله، أدرك أمير المؤمنين عليه السلام وحضر معه في صفين، وبقي إلى أن رأى الحجة المنتظر عليه السلام"[5].

وقال الشيخ أحمد الماحوزي[6]:" ويظهر من هذه الرواية الاطمئنان بصدق هذا المعمر لشهادة أسباطه وأحفاده وأهل بلدته بطول عمره"[7]. وعلى هذا فالرواية متصلة السند.

الفرع الثاني: المثبتون للقصة من علماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية

أكثر علماء الشيعة – المتقدمون منهم خاصة – ينكرون هذه الواقعة، ولا يرون صحتها، كما قال المجلسي: "فنحن في نفيه وإثباته من المتوقفين، كما أعرض عنه أكثر علمائنا"[8].

وهذا مشعر بأن المسألة ليست محل اتفاق ولا وقع فيها إجماع بين علماء الشيعة، بل يذهب بعضهم إلى إثبات الواقعة، وعدم وجود ما ينافي وقوعها، سواء من حيث العقل، أو معارضة الثوابت الدينية.

قال المسعودي (ت346هـ)[9]:" وفي السنة الرابعة من مولده شقّ الملكان بطنه، واستخرجا قلبه، فشقاه

---

[1] أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه: محمد هادي الأميني (2/ 409).

[2]عبد الله بن محمد حسن بن عبد الله المامقاني، ولد سنة 1290هـ، من علماء الشيعة الإمامية من أهل النجف، من أشهر مؤلفاته: تنقيح المقال في علم الرجال، مطبوع في ثلاثة مجلدات، صنفه في زهاء عامين فوقع فيه كثير من الأوهام، وغيره من المصنفات، توفي سنة 1351هـ. ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي (4/ 133).

[3] تنقيح المقال في درجات الرجال: عبد الله المامقاني (299/2).

[4] الشيخ علي بن محمد بن إسماعيل النمازي، الشاهرودي، الفقيه، الرجالي، (1333 هـ – 1402 هـ). عالم شيعي إيراني، كان من المهتمين بعلم الحديث الشيعي والمؤلّفين المكثرين في هذا المجال، من مصنفاته: مستدرك سفينة البحار، مستدركات علم رجال الحديث. ينظر: دور الشيعة في الحديث والرجال نشأة وتطوراً: جعفر السبحاني (ص 423).

[5] مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي الشاهرودي (412/5).

[6]الشيخ أحمد ابن الحاج عبد الحسن بن مهدي بن ناصر القيدوم الماحوزي البحراني، ولد سنة 1385هـ- 1965م، أتم دراسة السطوح والبحث الخارج بحوزة قم، من أبرز أساتذته: الشيخ محمد السند، وله مصنفات وتأليفات، منها: إيضاح مناسك الحج، حقيقة الأسماء الحسنى، سند الناسكين، وغيرها. ينظر: الموقع الالكتروني الرسمي التابع له http://almahoozi.com/wp/?page_id=2

[7] كمال الدين وتمام النعمة: الصدوق، تحقيق أحمد الماحوزي (38/3).

[8] بحار الأنوار: المجلسي (140/16).

[9]علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود: مؤرخ، رحالة، بحاثة، من أهل بغداد، أقام بمصر وتوفي فيها، من تصانيفه: مروج الذهب، الاستبصار في الإمامة، أخبار الأمم من العرب والعجم، وغيرها، توفي سنة 346هـ. الأعلام: الزركلي (277/4).

وأخرجا منه علقة سوداء ثم غسلا بطنه وقلبه بالثلج"[1].

وقال النوري الطبرسي (ت1320هـ)[2]: "وروى علي بن عيسى الأربلي[3] في كشف الغمة عن الدولابي[4] يرفعه عن رجاله أنه كان بدء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى في المنام رؤيا فشق عليه، فذكر ذلك لصاحبته خديجة فقالت له: أبشر فإن الله تعالى لا يصنع بك إلا خيرا، فذكر له أنه رأى أن بطنه أخرج وطهر وغسل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا خير فأبشر. قلت: يأتي أن الشق وقع في اليقظة أيضا"[5].

فالنوري الطبرسي ذهب إلى إثبات الواقعة مناما ويقظة، كما ورد في الروايات، وأمّا المجلسي فلم يجزم بعدم الوقوع كما تقدم، بل استظهر العكس، كون الواقعة غير منافية للعقل، فقال: " لم يرد نفيها أيضا، ولا يأبى عنه العقل أيضا، فنحن في نفيه وإثباته من المتوقفين، كما أعرض عنه أكثر علمائنا المتقدمين، وإن كان يغلب على الظن وقوعه، والله يعلم وحججه"[6].

المبحث الثاني: مناقشة العاملي فيما أورده في كتابه

لقد اعتمد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (الصحيح من سيرة النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله)، على عدة أدلة لنفي وقوع هذه الحادثة، وفيما يلي عرض لتلك الأدلة ومناقشتها:

المطلب الأول: الدليل الأول: اختلاف الروايات وتناقضها

من أهمّ الأدلة التي استند عليها العاملي لنفي وقوع حادثة شقّ صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهو اختلاف الروايات في بعض التفاصيل.

قال العاملي: "ونحن هنا نشير إلى ما يلي:

1- إنّ ابن هشام وغيره يذكرون: أن سبب إرجاع الرسول صلّى اللّه عليه وآله إلى أمه، هو أن نفرا من الحبشة نصارى، رأوه مع مرضعته، فسألوا عنه، وقلبوه، وقالوا لها: لنأخذنّ هذا الغلام، فلنذهبنّ به إلى ملكنا وبلدنا إلخ. وبذلك تصير الرواية المتقدمة التي تذكر أن سبب إرجاعه إلى أمه هو قضية شق الصدر محل شك وشبهة.

---

[1] مروج الذهب معادن الجوهر: المسعودي (216/2).

[2] الميرزا حسين بن محمد تقي ابن الميرزا تقي النوري الطبرسي، من كبار علماء ومحدثي الشيعة في القرون الأخيرة. ولد في 18 شهر شوال عام 1254 هـ، له كتاب " مستدرك وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة " استدرك به على كتاب " وسائل الشيعة " للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، توفي سنة 1320هـ. سنن النبي: الطباطبائي (ص 31).

[3] بهاء الدين أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، من كبار علماء الإمامية، قال فيه القمي:" الفاضل الشارع الأديب المنشئ النحرير والمحدث الخبير الثقة الجليل أبو الفضائل والمحاسن الجمة، صاحب كتاب كشف الغمة في معرفة الائمة"، توفي سنة 962هـ. الكنى والألقاب: عباس القمي (18/2).

[4] محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم، أبو بشر الأنصاري، بالولاء، الرازيّ الدولابي الوراق (224 - 310 هـ = 839 - 923م): مؤرخ من حفاظ الحديث. كان وراقا، من أهل الري نسبته إلى " الدولاب " من أعمالها، رحل في طلب الحديث، واستوطن مصر، وتوفي في طريقه إلى الحج، بين مكة والمدينة. وكان يصعق. له تصانيف، منها: الكنى والأسماء. الأعلام: الزركلي (308/5).

[5] دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: حسين النوري الطبرسي (43/1).

[6] بحار الأنوار: المجلسي (140/16).

2- كيف يكون شق صدره صلّى اللّه عليه وآله هو سبب إرجاعه إلى أمه؛ مع أنهم يذكرون: أن هذه الحادثة قد وقعت له صلّى اللّه عليه وآله وعمره ثلاث سنين، أو سنتان وأشهر، مع أنه إنما أعيد إلى أمه بعد أن أتم الخمس سنين...هذا كله، عدا عن تناقض الروايات الشديد، وقد أشار إليه الحسني باختصار، فراجع وقارن"[1].

مناقشة الدليل الأول:

مناقشة الدليل الأول التي احتج به العاملي تتم من وجوه:

أولا: ليس كل اختلاف بين الروايات يكون معتبرا وكافيا للحكم بنفي وقوع الحادثة من أساسها، فكم من واقعة اختلف في بعض تفاصيلها، ومع ذلك لم يكن الاختلاف مبرّرا لنفي الواقعة من أصلها[2].

والواجب حال اختلاف الروايات، الترجيح بينها من حيث القوة، إن لم يكن الجمع بينها ممكنا.

وفي هذه الحال يمكن الجمع بين هذه الروايات والقول بأن إرجاع النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى أمّه كان لمجموعة من الأسباب منها: ما حدث له مع نصارى الحبشة، وأيضا شقّ صدره الذي وقع له، فلا تنافي بين الأمرين.

ثانيا: عند الرجوع إلى المصدر الذي أحالنا عليه العاملي، وهو كلام الحسني، نجد نقضا لكلام العاملي، وردّا على دليله أصلا.

قال هاشم معروف الحسني (ت1403هـ)[3]:" وهذا الاختلاف وإن كان بذاته من الدواعي التي تثير الشكوك حول هذه الحادثة، وبخاصة إذا نظرنا إلى أسانيد تلك المرويات وعرضناها على الأصول التي لابد من توفرها في الروايات المقبولة، إلا أن ذلك وحده لا يكفي لإنكار هذه الحادثة من أساسها، واتهام القصاصين والمشوشين باختلاقها، لأن ما جاء في تلك المرويات هو من نوع الاعجاز، والعقل لا يحيل ذلك ما دامت قدرة اللّه تتسع لما لا تحيط به العقول ولا تدركه الأوهام والظنون، وقد اقترنت حياة الرسول الأعظم بأكثر من حادثة من الحوادث التي لم يجد لها العالم والباحث تفسيرا بغير إرادة اللّه، وليس ذلك عليه بعزيز"[4].

فكان على العاملي – من باب الأمانة العلمية – وهو يحيل إلى هذا المرجع في قضيّة الاختلاف بين الروايات، أن يذكر رأي مؤلفه كاملا؛ وأنّ هذا الاختلاف في تفاصيل الحادثة ليس مبررا لنفيها وتكذيبها من الأساس.

وفي السياق نفسه يقول علي فضل الله الحسني:" وقد رواها المؤرخون وأصحاب السير وغيرهم الكثير، واختلف في كيفية حدوثها مما يحمل أهل العلم والمحققين على إثارة الشكوك حول حدوثها، وبخاصة إذا نظرنا وتأملنا إلى أسانيد هذه الحادثة. ولكن اختلاف أسانيد هذه الحادثة المروية، لا يستلزم إنكارها من أساسها، واتهام الرواة أو القصاصين وأصحاب السير على وضعها أو اختلاقها"[5].

اختلاقها"[5].

وعليه فهذا الاختلاف لا يكفي لردّ الأخبار الصحيحة الواردة في الباب، كما ذهب إليه العاملي في كتابه.

---

[1] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/168-170).

[2] توجد عدة قضايا تاريخية متفق على وقوعها في الجملة، مع وجود الخلاف في بعض تفاصيلها، ومن ذلك مسألة "المهدي"، فقد اختلف الناس في شأن مولده- هل ولد أم سيولد-، ونسبه، وعصمته، ونحو ذلك من المسائل، مع الاتفاق -بين السنة والشيعة- على ظهوره في آخر الزمان.

[3]السيد هاشم معروف الحسني ولد سنة 1919م في قرية جناثا (جبل عامل) وتوفي ودفن فيها سنة 1984م. بدأ دراسته الأولى في جبل عامل ثم انتقل إلى النجف الأشرف فدرس على علمائه وعاد إلى وطنه. وبعد حين عين قاضيا شرعيا في مدينة صور ثم مستشارا في المحكمة الشرعية الجعفرية العليا حتى وفاته. له عديد المؤلفات منها: 1 – عقيدة الشيعة الإمامية. – 2 الحديث والمحدثون. 3 – سيرة المصطفى. مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين (1/283).

[4]سيرة المصطفى نظرة جديدة: هاشم معروف الحسني (ص45).

[5] سيرة الرسول وخلفائه: علي فضل الله الحسني (1/285).

المطلب الثاني: الدليل الثاني: تكرر شق الصدر

اعتبر العاملي تكرار حادثة شق صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلم مثارا للتشكيك في الواقعة من أساسها، حيث قال: "لماذا تكررت هذه العملية أربع، أو خمس مرات، في أوقات متباعدة؟ حتى بعد بعثته صلّى اللّه عليه وآله بعدة سنين، وحين الإسراء والمعراج بالذات؟! فهل كانت تلك العلقة السوداء، وحظ الشيطان تستأصل، ثم تعود إلى النمو من جديد؟! وهل هي من نوع مرض السرطان الذي لا تنفع معه العمليات الجراحية، والذي لا يلبث أن يختفي حتى يعود إلى الظهور بقوة أشد، وأثر أبعد؟! ولماذا لم تعد هذه العلقة إلى الظهور بعد العملية الرابعة أو الخامسة، بحيث يحتاج إلى السادسة، فالتي بعدها؟!"[1].

مناقشة الدليل الثاني:

هذا التشكيك لا يرقى إلى نفي حصول الحادثة فضلا عن تكذيبها.

قال المعلمي اليماني (ت1386هـ): "أما تكراره فقد أنكره بعضهم كما في الفتح حملاً لما ورد من ذلك على خطأ بعض الرواة، وفي صحيح مسلم ذكر وقوعه في الطفولة وعند الإسراء وقال في الأول «أتاه جبريل ... فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله ... » وقال في حديث الإسراء «فنزل جبريل ففتح صدري ثم غسله ... ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغها في صدري» فليس في الثاني ذكر إخراج القلب ولا إخراج علقة منه، ولا ذكر حظ الشيطان، وإنما فيه ذكر الصدر وزيادة ذكر إفراغ الحكمة والإيمان فيه، فتبين أن المقصود ثانياً غير المقصود أولاً، وأن كلا من المقصودين مناسب لوقت وقوعه"[2].

وعلى هذا فاستشكال العاملي: هل العلقة كانت تنمو في كل مرة وتستأصل؟ لا وجه له؛ لأنه ليس في ذكر باقي الروايات – غير رواية صغره – أنه استأصل من قلبه شيء أساسا. وإنما هذا التكرار كان لحكم أخرى، قد نعلمها، وقد يخفى علينا وجهها.

المطلب الثالث: الدليل الثالث: عدم حصول هذا الأمر للأنبياء السابقين

من جملة الأدلة التي أوردها العاملي، كون هذه الحادثة مما اختص به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ولم تحصل للأنبياء السابقين، والحال أنه أفضلهم وأكملهم، فهل كان بحاجة إليها، واستغنى عنها الأنبياء قبله، مع أنهم دونه في الفضل.

قال العاملي: "لماذا اختص نبيّنا بعملية كهذه ولم تحصل لأي من الأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام؟ أم يعقل أن محمدا صلى اللّه عليه وآله، أفضل الأنبياء وأكملهم، كان فقط بحاجة إلى هذه العملية الجراحية؟! وإذن، فكيف يكون أفضل وأكمل منهم؟ أم أنه قد كان فيهم أيضا للشيطان حظ ونصيب لم يخرج منهم بعملية جراحية؛ لأن الملائكة لم يكونوا قد تعلموا الجراحة بعد؟!"[3] .

مناقشة الدليل الثالث:

لا يُسلّم للعاملي بكون شق الصدر مما اختص به النّبيّ صلى الله عليه وسلّم، فقد وقع ما هو من جنسه للأنبياء عليهم السلام قبله.

---

[1] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/ 168).

[2] الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: المعلمي اليماني (ص 136).

[3] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/ 169).

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت852هـ):" واختلف هل كان شقّ صدره وغسله مختصّا به أو وقع لغيره من الأنبياء؟ وقد وقع عند الطّبرانيّ في قصّة تابوت بني إسرائيل أنّه كان فيه الطَّسْتُ الّتي يغسل فيها قلوب الأنبياء وهذا مشعر بالمشاركة"[1].

وهذا الحديث الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، قد روي في مصادر الحديث عند الشيعة الاثني عشرية.

فقد روى الكليني (ت329هـ) بسنده عن عليّ بن أسباط، قال: قلت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: جعلت فداك، ما ترى: آخذ برّا أو بحرا؛ فإنّ طريقنا مخوف، شديد الخطر؟...إلى أن يقول: قيل له: هي من التي قال الله عز وجل: (فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمّا تَرَكَ آلُ مُوسى وَآلُ هارُونَ) [البقرة:248]. قال: تلك السكينة في التابوت وكانت فيه طشت تغسل فيها قلوب الأنبياء وكان التابوت يدور في بني إسرائيل مع الأنبياء"[2].

والحديث يقول عنه المجلسي (ت1111هـ): "الحديث الخامس: موثق... ويدل الخبر على أن قلوب الأنبياء تخرجها الملائكة وتغسلها كما ورد في الأخبار العامية."[3].

فهذا الحديث دالّ على أن ما وقع للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، لم يكن من خصائصه، ولا مما انفرد به، بل شاركه غيره من الأنبياء قبله، ولازم ذلك عدم اعتبار الدليل الثالث الذي ساقه العاملي.

المطلب الرابع: الدليل الرابع: شق الصدر تعذيب للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعدم الحاجة إليه.

من ضمن ما أثاره العاملي، في معرض ذكره للأدلة على تكذيب حصول الواقعة، هو أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم لم يكن بحاجة إلى أن يُشقّ صدره، ويُعذّب بهذه الطريقة، مع أنّه بالإمكان أن يخلقه الله تعالى دون هذه العلقة التي أزالتها الملائكة من قلبه.

يقول العاملي: "ولماذا يعذّب اللّه نبيّه هذا العذاب، ويتعرّض لهذه الآلام بلا ذنب جناه؟! ألم يكن بالإمكان أن يخلقه بدونها من أوّل الأمر؟!"[4].

مناقشة الدليل الرابع:

يمكن مناقشة العاملي حول هذه التساؤلات في ثلاث نقاط، وهي كالآتي:

أولا: لا ندري من أين أتى العاملي بكون هذا الأمر كان فيه تعذيب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، فهذا ادعاء ليس عليه أدنى دليل.

قال المعلمي اليماني (ت1386هـ):" أقول شق الصدر لم يؤلمه صلى الله عليه وسلم البتة، وليس هو تكفير ذنبه ولا ذنب غيره"[5].

ونقول أنّ شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم من جنس ما وقع لإبراهيم عليه السلام حين أدخله قومه النّار فكانت عليه بردا وسلاما، ولم تؤذه ولم تؤلمه، حيث لم تكن عذابا من الله، ولا فرق بين الأمرين حيث إنهما معجزتان من الله تعالى لتأييد أنبيائه.

بل نرى الناس في هذه العصور يجرون عمليات جراحية خطيرة ومعقدة، ولا يشعرون بشيء من ذلك حيث يستعملون جملة من المخدرات (التخدير العام أو الموضعي)، فهل يعجز رب الأرباب عن شقّ صدر نبيّه صلى الله عليه وسلم دون إحساس بالألم؟

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (206/7).

[2] الكافي: الكليني (606/6-608).

[3] مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي (452/15).

[4] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/ 168).

[5] الأنوار الكاشفة: عبد الرحمن المعلمي اليماني (ص137).

ثانيا: أن في شقّ صدر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من الحكم العظيمة، والمقاصد الجليلة، من ذلك زيادة قوة يقينه، بحيث لا تؤثّر عليه المخاوف والمكاره؛ ولهذا كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس.

قال ابن حجر العسقلاني (ت852هـ): "قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شقّ قلبه مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانًا وحكمة بدون شق: الزيادة في قوّة اليقين، لأنه أُعطي برؤية شقّ بطنه وعدم تأثره بذلك ما أَمِنَ معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالًا ومقالًا، ولذلك وُصِف بقوله تعالى: (مَا زاغ الْبَصَر وَمَا طَغى) النجم: 17"[1].

فشقّ صدر النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان لإخراج حظ النفس والشيطان من قلبه، وكان بالإمكان أن يكون بصورة معنوية غير مدركة بالحواس، لكن الله أراد له هذه الصورة الحسية؛ ليشهد الناس على هذه العجيبة الخالدة التي جعلت من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إنسانا قويّا، شجاعا طاهرا، نظيف الظاهر والباطن[2].

ثالثا: هذا الإشكال الذي ذكره العاملي، قد أجاب عنه أحد علماء الشيعة الاثني عشرية، مقرّرا أن هذا القابل الذي خُلق في قلب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ثم أزيل بعد ذلك، من تكملة الخلق الإنساني، فلا بدّ من وجوده، ثم أزيل كرامة ومعجزة لنبيّنا صلّى الله عليه وسلّم.

قال الفيض الكاشاني (ت1091هـ)[3]:" فلم خلق اللّه هذا القابل في هذه الذات الشريفة؟ وكان يمكن أن لا يخلقه سبحانه فيها؟. فقال: لأنه من جملة الأجزاء الإنسانيّة، فخلقه تكملة للخلق الإنساني، فلا بدّ منه؛ ونزعه كرامة ربّانيّة طرأت بعده"[4].

المطلب الخامس: الدليل الخامس: معارضة الواقعة للقرآن الكريم

أكّد العاملي في مواضع، أن هذه الحادثة فيها معارضة لكتاب الله عزّ وجلّ؛ إذ الأنبياء عموما عنده معصومون عصمة مطلقة، فكيف يكون في قلب النبيّ صلى الله عليه وسلم حظّ للشّيطان.

يقول العاملي: "وأخيرا، أفلا ينافي ذلك ما ورد في الآيات القرآنية، مما يدل على أن الشيطان لا سبيل له على عباد اللّه المخلصين: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ). ص: 82-83. وقال تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ). الحجر: 42. وقال: (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ). النحل: 99. ومن الواضح: أن الأنبياء هم خير عباد اللّه المخلصين، والمؤمنين، والمتوكلين، فكيف استمر سلطان الشيطان على الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وآله إلى حين الإسراء والمعراج؟!"[5].

ويقول في موضع آخر: "وهكذا يتّضح: أنّ هذه الرواية مفتعلة ومختلقة، وأنّ سرّ اختلاقها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسدة، والطّعن بصدق القرآن، وعصمة النّبيّ الأعظم صلى اللّه عليه وآله"[6].

---

[1] فتح الباري: ابن حجر (206/7).

[2] ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي: أحمد أحمد غلوش (ص197).

[3] محمد بن مرتضى بن محمود المعروف بالفيض الكاشاني، ولد سنة (1007 هـ)، من فقهاء ومفسري ومحدّثي ومتكلمي وفلاسفة وعرفاء الشيعة الإمامية، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة كالوافي، والصافي، والشافي، والمفاتيح، والنخبة، والحقائق وعلم اليقين، إلى غير ذلك مما يقرب من مائة تصنيف، توفي سنة (1091 هـ). الكنى والألقاب: عباس القمي (39/3).

[4] علم اليقين: الفيض الكاشاني (663/1).

[5] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/ 169-170).

[6] الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله: جعفر مرتضى العاملي (2/ 172).

مناقشة الدليل الخامس:

مناقشة هذا الاعتراض من وجوه:

أولا: ما ذكره العاملي من آيات أجنبيّ عن المقام، فلا دلالة في واقعة شقّ الصّدر على أن الشيطان كان متسلّطا على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم؛ بل كل ما فيها أن القابل لوسوسة الشيطان قد أزيل من قلبه. على أنّ الآيات التي ذكرها عن سلطان الشيطان، ليست بالمعنى الذي ذهب إليه وقرّره، ولو راجع تفاسير أئمته لها لزال عن ذهنه هذا التعارض المزعوم.

فقد روى الصّدوق بسنده عن جعفر الصادق في قوله عزوجل: (إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان). الحجر: 42، قال: "ليس له على هذه العصابة خاصة سلطان، قال: قلت: وكيف جعلت فداك وفيهم ما فيهم؟ قال: ليس حيث تذهب، إنما قوله: «ليس لك عليهم سلطان» أن يحبّب إليهم الكفر ويبغّض إليهم الايمان"[1].

فهذا المراد من سلطان الشّيطان المنفيّ عن عباد الله المخلصين، وإلا لو التزم العاملي بكلامه السابق، فإنه يقع في إشكال خطير لا مخرج له منه، وهو إخراج بعض الأنبياء عليهم السلام من مسمى "عباد الله المخلصين"، لوقوع وسوسة الشيطان عليهم.

وروى الكليني بسنده عن بكير، عن أبي عبد الله جعفر الصادق أو عن أبي جعفر الباقر عليهما السلام، قال: "إنّ آدم عليه السلام قال: يا ربّ، سلّطت عليّ الشّيطان، وأجريته مني مجرى الدّم"[2].

والحديث حسنه المجلسي (ت1111هـ)، وقال: "«سلطت عليّ» أي علي وعلى أولادي"[3].

فهل يلتزم العاملي بكون آدم عليه السلام ممن تسلط عليهم الشيطان، وبالتالي يكون مصداقا للآيات التي أوردها آنفا؟.

ثانيا: قول الملك: (هذا حظّ الشّيطان منك)، لا يستلزم وقوع هذا الأمر؛ بل غاية ما فيه أنّه شيء مما فُطر عليه الخلق، يكون قابلا ومحلّا لما تلقيه الشياطين، فأكرم الله نبيّنا صلى الله عليه وسلم بإزالته من قلبه.

وقد نصّ على ذلك علم من أعلام الشيعة الاثني عشرية، موضحا أنّه لا تنافي بين مقام النبيّ صلى الله عليه وسلم وعصمته:

يقول الفيض الكاشاني (ت1091هـ): "سئل بعض المشايخ عن العلقة السوداء التي أخرجت من قلب النّبيّ صلّى اللّه عليه وآله في صغره، حين شقّ فؤاده، وقول الملك: هذا حظّ الشيطان منك؛ فقال: تلك العلقة خلقها اللّه في قلوب البشر قابلة لما تلقنه الشيطان فيها، فأزيلت من قلبه، فلم يبق فيه مكان قابل لأن يلقي الشيطان فيه شيئا. هذا معنى الحديث؛ ولم يكن للشيطان فيه حظّ قطّ؛ وإنّما الذي نقّاه الملك أمر هو في الجبلات البشريّة، فأزيل القابل الذي لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب"[4].

ثالثا: واقعة شق صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليس فيها ما ينافي العقل، أو يعارض الثوابت الدينية، وبهذا اعترض أحد كتاب الشيعة المعاصرين على من نفى الواقعة أو استبعدها.

قال محمد الحسيني:" ولا أدري لماذا ردّ السيد جعفر مرتضى ما يعرف (بحادثة شق الصدر) في حياة النّبيّ (ص)، ولماذا استبعدها تماما مع أنها لا تتعارض مع العقل والثوابت الدينية، ولربما يقال أيضا أن قِوَانَا الفكرية ستتطور يوما لاكتشاف هذه الكرامة للنبيّ

[1] معاني الأخبار: الصدوق (ص158).

[2] الكافي: الكليني (241/4).

[3] مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: المجلسي (311/11).

[4] علم اليقين: الفيض الكاشاني (663/1).

(ص). وعلى هامش هذه النقطة أنقل للقارئ رأي الشيخ المجلسي في هذا الصدد قال: (اعلم أن شق بطنه صلّى الله عليه وآله في صغره في روايات العامة كثيرة مستفيضة كما عرفت، وأما رواياتنا وإن لم يرد فيها بأسانيد معتبرة لم يرد نفيها أيضا، ولا يأبى عنه العقل أيضا، فنحن في نفيه وإثباته من المتوقفين، كما أعرض عنه أكثر علمائنا المتقدمين، وإن كان يغلب على الظن وقوعه...) بحار الأنوار16/ص140. وإنما أسوق هذه العبارة للعلامة المجلسي لا تأييدا للوقوع، وإنما فقط نقضا على العاملي الذي لا يكاد ينسجم مع نفسه ومع منهجه، فتارة ينفي وتارة يثبت كلما راق له ذلك. والمفارقة في نهج السيد مرتضى أن استبعاداته واستحساناته في أمور ترتبط بالغيب مقبولة ومبررة، أما استبعادات واستحسانات غيره فغير مقبولة وغير مبررة على الإطلاق"[1].

خاتمة:

في ختام هذا البحث أحمد الله تعالى على إتمامه، وأرجو أن أكون قد وُفّقت في الردّ على ما طرحه السيد جعفر مرتضى العاملي في إنكاره لمعجزة شقّ صدر النبيّ صلى الله عليه وسلم، وخلصت في الأخير إلى مجموعة من النتائج أهمّها:

1- حادثة شقّ صدر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من الأحاديث الصحيحة التي تقلتها الأمة بالقبول، ورواها الأئمة الفحول في أصحّ مصادر الحديث.

2- تكرّرت هذه الواقعة عدة مرّات، على خلاف بين أهل العلم في العدد، وكان في ذلك حِكم.

3- معجزات النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم الواجب أن تتلقّى بالتّصديق والتّسليم، لا بالإنكار والتشكيك، بدعوى مخالفتها للعقل، أو العلوم التجريبية؛ لأنّ هذا فيه غفلة عن حقيقة المعجزة ومفهومها.

4- لم تتفرد كتب أهل السنة بنقل هذه الواقعة، بل رواها الشيخ الصدوق بسند صحيح عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

5- ما ذكره السيد جعفر مرتضى العاملي من أدلّة لا يكفي لردّ هذه الأحاديث الصّحيحة، فقد تبيّن من خلال البحث ضعف تلك الاعتراضات.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).
- أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام والرواة عنه: د. محمد هادي الأميني (ت 1421هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي.
- الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن بن يحيى بن علي المعلمي اليماني (ت 1386هـ)، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها / عالم الكتب – بيروت، سنة النشر: 1406 هـ / 1986م.
- بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت1111هـ)، تحقيق: السيد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبودي
- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
- تنقيح المقال في علم الرجال: عبد الله المامقاني (ت1351هـ)، تحقيق: محمد رضا المامقاني، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ط1، 1431هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

[1] هوامش نقدية –دراسة في كتاب مأساة الزهراء عليها السلام–: محمد الحسيني (ص46/45).

– الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1271 هـ 1952م.

– حياة محمد: محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ط14.

– الخصائص الكبرى: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.

– دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ميرزا حسين النوري الطبرسي (ت1320هـ)، منشورات شركة المعارف الإسلامية، المطبعة العلمية، قم.

– دلائل النبوة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت 430هـ)، حققه: الدكتور محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس، بيروت، الطبعة: الثانية، 1406 هـ/ 1986م.

– دور الشيعة في الحديث والرجال نشأة وتطوراً: جعفر السبحاني، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م.

– رد شبهات حول عصمة النبي صلى الله عليه وسلم في ضوء الكتاب والسنة: عماد السيد محمد إسماعيل الشربيني، مطابع دار الصحيفة، القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م.

– سنن النبي: محمد حسين الطباطبائي، مع ملحقات للشيخ محمد هادي الفقهي، الناشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

– سيرة المصطفى نظرة جديدة: هاشم معروف الحسني(ت 1403هـ)، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م.

– السيرة النّبوية – عرض وقائع وتحليل أحداث: عَلي محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، 1429 هـ - 2008م.

– السّيرة النّبويّة الصّحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السّيرة النّبويّة: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: السادسة، 1415 هـ - 1994م.

– السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية: محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، الناشر: رسالة دكتوراة، كلية الآداب – جامعة عين شمس، القاهرة، إشراف: الأستاذ الدكتور عفت الشرقاوي، عام: 1431 هـ - 2010 م.

– السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي: أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1424هـ-2003م.

– شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: 1122هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى 1417هـ-1996م.

– صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993.

– الصحيح من سيرة النبي الأعظم: جعفر مرتضى العاملي (ت 1441هـ)، الناشر: دار الحديث، سنة الطبع: 1426 ق/1385 هـ.ش.

– علم اليقين: محمد بن شاه مرتضى الفيض الكاشاني (ت1091 هـ)، محقق / مصحح: محسن بيدارفر، الناشر: انتشارات بيدار، قم، سنة الطبع: 1418 هـ.

– عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت 852هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، 1379، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعة: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

– فتح الباري شرح صحيح البخاري: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت 795هـ)، تحقيق :محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1996م.

- الكافي: أبو جعفر محمّد بن يعقوب الكليني الرازي (ت 329هـ)، المحقق: مركز بحوث دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر، المطبعة: دار الحديث، الطبعة:1، تاريخ النشر: 1430 هـ.ق.
- كتاب الضعفاء: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، المحقق: أبو عبد الله أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، الناشر: مكتبة ابن عباس، الطبعة: الأولى 1426هـ/2005م.
- كمال الدّين وتمام النّعمة: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالصدوق (ت381هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.
- مجالس المؤمنين: نور الله المرعشي التستري (ت1019هـ)، تعريب وتحقيق: محمد شعاع فاخر، قم، مكتبة الحيدرية، ط1، 1433هـ.
- مرآة العقول: محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي (ت 1111هـ)، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة، المطبعة: مروي، الطبعة: 2، تاريخ النشر: 1404هـ.
- مروج الذهب معادن الجوهر: أبو الحسن بن علي المسعودي (ت 346هـ)، المكتبة العصرية، بيروت.
- مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأولى، 1987م.
- مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي الشاهرودي (ت 1402هـ)، مطبعة حيدري، طهران، الطبعة الأولى، 1415هـ.
- مسند أبي داود الطيالسي: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت 204هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1999م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421 هـ - 2001 م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- معاني الأخبار: أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي، المعروف بالصدوق (ت 381هـ)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، المطبعة: دار المعرفة للطباعة والنشر.
- معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة 2002: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ-2002م.
- هوامش نقدية -دراسة في كتاب مأساة الزهراء عليها السلام-: محمد الحسيني، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

المواقع الالكترونية:

- موقع جعفر مرتضى العاملي: http://www.al-ameli.com/edara/subject.php?id=5
- موقع الشيخ أحمد الماحوزي: http://almahoozi.com/wp/?page_id=2